

قرود البشر

النفوس للنفوس ، وتخلص القلوب للقلوب ، وتزول الحشومات ، فيرتج حينئذ على القردة ويعوزها الزمن لتضم الوضع الجديد فتظهر عظمها لا تحسد عليه لأن الانطباع غير التطبع ، والاندفاع الطبيعي غير التعامل التقليدي .

وقد تسمع القردة شخصاً ينطق هذا النطق أو ذاك . . يتكلم السورية أو العراقية فيرونها منطقها وتعمل جاهدة على تقليده فلا يأتى زمن قصير عليها حتى تكون لغتها لغته ولهجتها لهجته . . . ويومها تخرج للناس طاووسية المشية تترنخ ترنخ ربات الحجال ، فإذا كلمها أجابته بلغتها الجديدة (١) متباهية متفاخرة ؛ فتقول سبحان الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وتجعل كلمة الإنسان هنا من باب المجاز ! ! .

ويجلس قرد فى مجلس أهل العلم والأدب فيسمع منهم ويحاول أن يقول لهم لأنه حائر فى التقليدين متحدث ومستمع ثم لا يلبث أن يعيد ما قالوه ، ويجادله ، فإذا حمى وطيس الممارسة قعدت به هجته ، ونضب معينه ؛ فجحظت عيناه وقفقت ترقوته ، واعتراه الرجفان . . . فإذا عيب عليه فى هذا قال إنه رجفان العبقرية وربما كان سارقاً حتى لهذه اللفظة ! ! ! وقد يلوك لسان القرد سمعة فلان من الناس فإذا استقبل عدوه بالأمس هشى له وبش فى وجهه لأنه يقلدها الرجال فى هذا . . . أو ليس الدهاة يظهرون خلاف ما يظنون ؟ ! ويأتى يوم يستقبل فيه عدوه بوجه كبطن الكرش ارقش تعلوه الدمامة فلا يرد تحية ؟ ولا يدفع واجب السلام لأنه يقلد الشجعان . . . والشجاع يجب أن يكون صريحاً قوى العارضة ! ! !

وباليت قردة البشر لما قلدت أرادت الخير وحده ولكنها حين تقلد فأنما تقلد غراماً فى التقليد دون أن تنظر إلى الخير أو الشر ؛ بل ربما ما كانت لتدرى الخير من الشر لأنها ذات عبقرية فى التقليد وحسبها هذا إثباتاً للتفوق والامتياز ! ! !

أما إذا طلب منها أن تعلو وتعود إلى إنسانيتها فى أحسن تقويم احتجت بقوله تعالى : « ثم رددناه : أسفل سافلين »

« الكويت » عبد الله أحمد حسين

(١) لانعرف إلا لغة عربية واحدة فى مختلف البلاد العربية ، وربما يقصد الكاتب اللهجة فقط .

درجنا على أن نعتبر القرد متعة وتسلية ؛ يسر فيه المرء حين يقفز ، وحين يقعى ، وحين يقلد ، وأصبح المقلد الأول فى عرفنا ؛ بل لا يكاد المدرس يسأل صغاره عن أى حيوان اشتهر بالتقليد حتى يجيبه الصغار : إنه القرد .

هكذا عرف العالم القديم القرد . . . ولكن القرن العشرين أبا العجائب والغرائب ؛ والذى حطم كثيراً من النظريات والأقوال المسلم بها قديماً ؛ أبى إلا أن يداعب الناس ويخرج لهم ما يقرب ما عرفوه عن القردة منذ الأزل ؛ فجعل طائفة من البشر هى القردة ، وجعلها تقلد فتجيد التقليد ؛ بل أوصلها إلى أكثر من هذا فوضع فى تقليدها متعة تسر لها النفوس وتضحك منها القلوب وإن صاحب هذه المتعة شئ من الألم والمرارة ؛ لشعور الإنسان بأن أمامه مسخاً من البشر ! ! .

قال فلان : إن هذا الرجل فيه من العيوب كذا وكذا وهو يريد حاجة فى نفسه فلا يكاد يسمعه قرد حتى يركض هنا وهناك ، طاعناً بالرجل منحياً بالذم عليه ، جاعلاً هذا الرأى من بنات فكره ، بل ربما بلغت به حماسه حدّاً يفوق به ملفظه الأول ، وربما رأته قردة أخرى فأعجبها الحماسة وبلغت منها بلاغة القروء مبلغها فصدرته للمجلس ورأت فيه رأياً جميلاً ! ! !

وقيل عن فلان إنه تأثر فى سبيل الحق وقد فعل كيت وكيت فلا تلبث القردة أن تنصت آذانها وتبحث عن حق تطالب به وإذا أعجزها هذا خنقت من أى باطل حتماً ثم تهددت وتوعدت فكتبت وخطبت ونظمت وشرت فإذا طلب منها الشرح أعياها المنطق وإذا ظن فيها الثبات تخلفت وتراجعت .

وذاك شاب عرف فيه معارضة مبدأ ودعوة لمبدأ سمعت به القردة فشدت إليه الرحال ثم رأت منه ، وأصغت إليه وخرجت بعد ذلك للناس فإذا عليها سبأؤه وشمائله وحركاته وسكناته ؛ تلتفظ ألفاظه ، وتمسك لوازمه فيحار المرء حين يكون ذا صلة سابقة بأحدها كيف وصلت بها عبقرية التقليد إلى حد الإعجاز ! ! !

ويأتى ظرف تشتط فيه الألسن ، وتتكسر الأمزجة وتقال فى الناس الأقوال المذدعة ؛ فتشتط القردة فى التقليد وتتشبث بالمحاكاة . . . ثم تعود المياه إلى مجاريها ، فتصفو